راهنية الكتابة السينمائية في الجزائر بين الموضوعات الثورية والقيم الاجتماعية
–فيلم أبواب الصمت لعمار العسكري أنموذجا–

The currentness of cinematic writing in Algeria between revolutionary themes and social values, Ammar al-Askari's film "The Doors of Silence" as a model

عبد الله بن عزوزي[1]*،

[1]جامعة مصطفى اسطمبولي –معسكر–، الجزائر، abdellah.benazouzi@univ-mascara.dz

تاريخ الاستلام: 2022/11/20	تاريخ القبول: 2022/12/25	تاريخ النشر: 2022/12/30

ملخص:

تعد السينما الجزائرية ، واجهة عكست العديد من الأفكار وتطلعات الشعوب، ووجهات نظر خاصة، بكل ما تعلق بثورة نوفمبر الخالدة ،وبطولات الشعب الجزائري، وتطلعاته وواقع حرب التحرير، والقضايا الاجتماعية التي عاشها الشعب الجزائري في تلك الفترة بهدف الرد على الآخر، بوجهات نظر مضادة، وهذا من خلال ما تناوله صانعوا أفلامها وكتاب سيناريوهاتها، من وجهات نظر، أو اتجاهات ثورية ملحمية، في طبيعة مضامين هاته الأفلام، التي تم تناولها في كتابة السيناريو، وهو ما يتجلى في معظم الأفلام الروائية الثورية الجزائرية و أنجحها.

نهدف من خلال هذه الدراسة إلى تسليط الضوء على الموضوعات الثورية وتجلياتها في السينما الجزائرية حيث سنتطرق إلى التيمة الثورية في السينما الجزائرية وطبيعة الموضوعات في الفيلم الروائي الثوري الجزائري من أفلام حربية تعالج ساحة المعركة إبان الحرب وأفلام اجتماعية إبان وبعد حرب التحرير كما اخترنا فيلم أبواب الصمت للمخرج عمار العسكري نموذجا تضمنته هذه الدراسة من خلال تحليل الفيلم ورصد تجليات التيمة الثورية من خلال تطور الأحداث في خذا لفيلم وكذا بنيته الدرامية من شخصيات وصراع وحدث وزمان ومكان ...الخ التي يتجلى من خلالها التيمة الثورية في الفيلم.

الكلمات المفتاحية: الثورة –السينما –عمار العسكري – –السيناريو –أبواب الصمت – الفيلم.

* **المؤلف المرسل: بن عزوزي عبد الله** benazouziabdellah@gmail.com

Abstract :
Algerian cinema is an interface that reflects many ideas and aspirations of peoples, and special points of view, with regard to everything related to the eternal November revolution, the heroism of the Algerian people, their aspirations and the reality of the war of liberation, and the social issues that the Algerian people lived through during that period with the aim of responding to the other, with different points of view Counter, and this is through what its filmmakers and screenwriters have addressed, from the perspectives, or epic revolutionary trends, about the nature of the contents of these films, which were addressed in writing the script, which is reflected in most of the Algerian revolutionary and most successful feature films.
We aim through this study to shed light on the revolutionary themes and their manifestations in the Algerian cinema. Ammar Al-Askari is a model included in this study by analyzing the film and monitoring the manifestations of the revolutionary theme through the development of events in the film, as well as its dramatic structure of personalities, conflict, event, time and place ... etc. through which the revolutionary theme is manifested in the film.

Keywords: revolution - cinema - Ammar al-Askari - scenario- doors of silence - film.

المقدمة:

شغلت حرب التحرير، بال العديد من الباحثين والأدباء والفنانين، لحياكة أجمل الأعمال الأدبية والفنية، تمجيدا لواحدة من أضخم ثورات القرن العشرين، لذلك كان لا مناص من أن يهتم السينمائيون الجزائريون والفرنسيون بهذا الماضي المشترك، حيث شكلت هذه الحرب، مادة دسمة للعديد من كتاب السيناريو والمخرجين، من كلا الطرفين، جزائريين وفرنسيين، الذين راحوا يترجمون تلك الفترة، الى مجموعة من الأعمال السينمائية، كلا على طريقته واستنادا لمرجعياته، وانتمائه وخلفياته السياسية والإيديولوجية.

إذا توقفنا عند الأفلام الروائية الجزائرية، فإننا نجدها تزخر بالعديد من المبادئ، ووجهات النظر الثورية والتحررية، وفخر بأمجاد الشعب وبطولاته، ويرجع ذلك الى كتاب السيناريو، ومخرجي الأفلام الذين استعملوا السينما كواجهة إيديولوجية، مضادة للتوجه الفرنسي، هذا فضلا عن حفظها للذاكرة الوطنية، والدفاع عن الذات والخصوصية، وتجسيد وجدان الأمة التي باتت ثورة التحرير، تعتبر جزءا كيانيا مهما فيه.

لذلك لم تكتف السينما الجزائرية في مواضيعها، بتصوير الحرب والمعارك، بل حاولت نقل واقع الحياة اليومية للسكان، اثناء الثورة وتجسيد البؤس، والفقر والحرمان.[1] والقمع الذي تسبب فيه المستعمر، ونظرة هذا الأخير تجاه الشعب الجزائري، حيث حاول السينمائيون في أفلامهم، تناول مثل هذه الاتجاهات المتمثلة، في التعبير عن الصراع القائم، بين الشعب الجزائري والمحتل الفرنسي الغاشم، ونظرة المتلقي الجزائري تجاه الآخر، والتعبير عن وقائع الثورة، وتطلعات الشعب وأحواله.

2- التيمات الثورية في الفيلم الروائي الجزائري:

يعتبر موضوع الثورة في الأفلام الجزائرية، التيمة الأساسية التي تنطلق منها عملية صناعة الفيلم الثوري، مهما كان شكله، سواء كان تسجيليا أو روائيا، واذا كان حديثنا ينصب عن موضوع الثورة في الأفلام الروائية، فان كتاب سيناريوهاتها ومخرجوها، قد اعتمدوا في بنائها على أساليب عدة، واتجاهات ومبادئ مختلفة، لتجسيد وقائع الثورة، من خلال التركيز على مختلف عناصر الكتابة السينمائية ،من حيث الشخصيات الثورية البطلة، والمضادة لها، وكذا صراعاتها واتجاهاتها – وعلاقاتها –والبناء الدرامي للأحداث، وتطوراتها من البداية الى التعقيد والنهاية ...الخ، وذلك للخروج بالعديد من المواضيع الثورية، التي عرفها أرشيف السينما الجزائرية، من أفلام ثورية مختلفة.

ذلك لأن الموضوع في الفيلم السينمائي عموما، يعتبر اللبنة الأساسية التي تنطلق منها عملية التخطيط للفيلم، ونسج أحداثه وبناء شخصياته ...الخ، وهو ما يؤكده الدكتور جدي قدور، في دراسته حول : الثورة التحريرية في السينما الجزائرية، حيث يقول: " يمنح الموضوع المعالج للفيلم، قوة كبيرة في سرده للأحداث وتعمقه في الشخصيات ،لذلك يولي المنتجون والمخرجون اهتماما كبيرا له، معتبرين إياه أساس نجاح العرض أو فشله مهما كانت ميزات السيناريو والقدرة الإخراجية له.....وينبغي أن يكون الموضوع وسيلة للعمل السردي والبناء الدرامي للقصة، لأن الموضوع الجيد هو الذي يطلق العنان لعمل السيناريست المكلف ليس فقط بتطويره، بل وتحويله إلى دراما..."

[1]، ولأن تاريخ الثورة التحريرية، كان حافلا بالعديد من الأحداث والوقائع، فقد تعددت الأفلام التي عالجت مواضيع مختلفة ،وبوجهات نظر متعدد حول الثورة التحريرية منها:

أ/ الأفلام الثورية ذات الموضوعات الحربية:

وهي الأفلام التي عالجت موضوع الثورة التحريرية في الجبال، حيث جسدت رحى حرب التحرير في ساحة المعركة، ويصفها الدكتور عبد الحميد حيفري، في كتابه " التلفزيون الجزائري ... واقع وآفاق،" بأنها: "صنف من الأفلام التي استمرت في الحديث عن أمجاد الثورة المسلحة، وعن بطولات الشعب الجزائري ...متعرضا لمقاومة هذا الشعب في المدن والأرياف صفا واحدا متماسكا، ضد بطش العدو وعملياته الإبادية ...وهو صنف يعتبر لوحات حية، تبرز مراحل الحرب التحريرية، والمسار التاريخي لهذه المراحل، وتعيد تركيب مختلف مظاهر المعارك، كما عاشها الشعب الجزائري بقساوتها وآلامها، ممجدة أولئك الذين رفعوا لواء الثورة"[2]، حيث تميزت بتجسيدها لمختلف المعارك الطاحنة لجيش التحرير، ضد المستعمر، بوجهات نظر ثورية تحررية، تغنت بتضحيات الشعب وبطولاته، مثلما هو الحال للعديد من الأفلام الحربية، التي تميزت بمثل هذه الموضوعات، منها على سبيل المثال: انتاجات عمار العسكري مثل دورية نحو الشرق وأبواب الصمت وكذا انتاجات أحمد راشدي، مثل الأفيون والعصا وأفلام السير الذاتية التي تناولت واقع الثورة التحريرية في ساحة المعركة، مثل فيلم بن بولعيد أو العقيد لطفي أو كريم بلقاسم ....الخ، إضافة إلى بعض الأفلام، التي وإن لم تتناول ساحة المعركة، إلا أنها جسدت موضوع الثورة من خلال تجسيد بطولات شخصيات ثورية ضد المستعمر، أو الإقطاعيين، قبل الثورة، مثل فيلم الخارجون عن القانون لتوفيق فارس وغيرها، من الأفلام التي تناولت موضوعات أحداث ثورة التحرير الجزائرية، منها ما صورت ساحة المعركة، إبان الثورة، ومنها ما تطرقت إلى بطولات الشعب الجزائري، قبل الثورة مثلما هو الحال لفيلم الشيخ بوعمامة

،لبن عمر بختي أو الخارجون عن القانون لتوفيق فارس، وغيرها من الأفلام الروائية الطويلة، التي عالجت موضوعات حرب التحرير، قبل وأثناء الثورة، اعتماد على مصادر عدة في صياغة سيناريوهاتها، سواء ما كان محفوظا في تاريخ الثورة، أو ما استلهم من المروي التاريخي، وشهادات الشخصيات الثورية، أو ما حاكه الأدب الجزائري ...وغيرها من المصادر التي عاد إليها كتاب السيناريو والمخرجون، لصياغة أفلام حربية ملحمية عن الثورة التحريرية.

ب/ الأفلام ذات الموضوعات الاجتماعية إبان الثورة:

الى جانب الأفلام الروائية، التي عالجت الموضوعات الحربية أثناء الثورة وبعدها، فان تجسيد تيمة الثورة لم يقتصر على الأفلام الحربية فحسب، بل ارتبط موضوع الثورة، "بالأفلام ذات الصلة الغير مباشرة بالثورة، ومنها ما تعرض لموضوع معاناة الشعب الجزائري أثناء الاستعمار الفرنسي، منذ بدايته، إلى غاية الخلاص منه، من خلال تجسيد معاناة الشعب الجزائري، من الفقر والحرمان، جراء القوانين الاستعمارية الجائرة، مثلما هو الحال لفيلم بني هندل، 1976 للمين مرباح ،الذي صور مثل هذه الحقائق في الشمال الجزائري، بمنطقة الونشريس، متطرقا إلى معاناة الشعب في الشمال، جراء القوانين المدنية، التي أصدرتها السلطات الاستعمارية لصالح المهاجرين الأوروبيين، رغبة منها في جلب الأوروبيين إلى الجزائر، ويعالج موضوعه كذلك تلك الحيل التي انتهجها المستعمر، أو عملائه من الاقطاعيين، لمصادرة الأراضي الزراعية، وتحويل أصحابها الشرعيين إلى عمال– خماسين– عند المعمرين[3] ، وتعددت هذه الموضوعات كذلك في العديد من الأفلام الجزائرية، التي عالجت هذه الوقائع، من خلال تجسيد معاناة الشعب الجزائري، إبان الاستعمار والواقع الاجتماعي المزري، جراء السياسة الاستعمارية في حق الشعب الجزائري ،وهي قائمة كبيرة من الأفلام التي تطرقت لمثل هذه الموضوعات، منها على سبيل المثال :"الليل يخاف من الشمس " لمصطفى بديع" أو" وقائع سنين الجمر أو ريح الأوراس " لمحمد لخضر حامينة أو فيلم "الطريق" لمحمد سليم رياض" أو فيلم أولاد نوفمبر لموسى حداد او" الجحيم في سن العاشرة "[4]،الذي يعتبر انتاجا جماعيا في خمسة أجزاء لمجموعة من المخرجين.

ج/ الأفلام الاجتماعية بعد الثورة:

ظهرت هذه الأفلام في أعقاب الثورة التحريرية، حيث كان هدفها فتح أذهان الجماهير نحو مستقبل مشرق للجزائر المستقلة، وبالرغم من كونها لا تعالج مواضيع عن الحرب أو ما شبه، الا أنها حملت في مضامينها تيمات مهمة عن ثورة التحرير، كانعكاسات واقع الفترة الاستعمارية، على أفراد المجتمع، بعد الاستقلال، كما عالجت مواضيع مهمة ظهرت مع ظهور الثورة الزراعية، ما بين 1971 الى، 1975 حيث كان هدفها؛ هو معالجة المشاكل الاجتماعية، وبعث الوعي السياسي والاجتماعي فينفوس الطبقة الكادحة[5]. وتندرج هذه الموضوعات الاجتماعية، في مرحلة ما بعد الاستقلال، ضمن ما أصطلح عليه بالسينما الجديدة، التي كانت نرنو إلى معالجة الواقع الاجتماعي، فيما بعد الثورة، ورفع التحدي عن طريق الفن السينمائي، بغية تجاوز ذلك الواقع وتلك الذهنيات والرواسب التي خلفها المستعمر في الوسط الاجتماعي الجزائري، وهو ما يؤكد عليه الدكتور عبد الحميد حيفري في كتابه التلفزيون الجزائري واقع وآفاق حيث يقول:" تتطرق مضامين هذه الأفلام الوطنية المدرجة ضمن ما أصطلح على تسميته بالسينما الجديدة، الى مواضيع اجتماعية حساسة، يعيشها المواطن الجزائري ...تتفق كلها في معالجة هذه المشاكل، والوقوف في طريق تعاظمها، الى جانب تقديم محاولة منهجية لتوعية السكان الجزائريين، والقضاء على تلك الرواسب و الذهنيات المشبوهة، التي خلفها الاستعمار من ورائه يوم الاستقلال بالجزائر، والتي لا تتوافق اليوم ومراحل التنمية المنتهجة"[6]،والمهم في هذه المواضيع، هو إعادة فتح أذهان الجماهير، إلى تجاوز التركة الثقافية التي تركتها فرنسا، في الوسط الاجتماعي الجزائري، والسعي إلى إعادة التنمية في بناء الجزائر المستقلة.

3-موضوع الثورة في فيلم أبواب الصمت:

فيلم أبواب الصمت لعمار العسكري، هو وقفة عرفان وتقدير، للعديد من أبطال الثورة التحريرية الذين بقوا مجهولين، ولم تدرج أسماؤهم في قائمة الشهداء، بسبب عدم انضمامهم الى جيش التحرير لأسباب مختلفة، لكن بطولاتهم وجسارتهم في ردع المستعمر، بقيت راسخة في ذهن العديد ممن عاشوا معهم وشاركوهم في الكفاح، وكانوا شهود عيان على بطولاتهم، وهو ما يتناوله فيلم أبواب الصمت، الذي كان من اخراج عمار العسكري سنه 1987، وكتابة السيناريو من قبل مراد بوربون، الذي يحكي قصة عمار الأبكم الذي قام بعمل بطولي، ضد المستعمر جعله بطلا من أبطال الثورة، رغم الإعاقة التي كانت عائقا أمام انضمامه الى جيش التحرير.

يعتبر فيلم أبواب الصمت للمخرج عمار العسكري، واحدا من أشهر الأفلام الثورية الروائية الجزائرية، رفقة باقي الأفلام الثورية، التي تعددت عروضها على الشاشة الصغيرة، على غرار دورية نحو الشرق لذات المخرج، ومعركة الجزائر لجيليو بونتيكورفو، والأفيون والعصا لأحمد راشدي ...الخ، ويتميز فيلم أبواب الصمت عن باقي الأفلام الثورية الروائية الجزائرية، بطبيعة موضوعه الذي يعالج من خلاله تضحيات فئة من المجاهدين والشهداء، الذين بقوا مجهولين ولم يحضوا بالاعتراف بشهادتهم في سبيل الوطن بعد الاستقلال، لذلك يهدف كاتب السيناريو في موضوع فيلم أبواب الصمت، إلى الإشارة إلى العديد من أبطال الثورة الخالدة، الذين وإن لمتسنح لهم الفرصة في الانضمام إلى جيش التحرير الوطني، وتناستهم السلطات بعد الاستقلال، ولم تعترف ببطولاتهم، الا أنهم صنعوا مجد الثورة بأعمالهم الفدائية، وشهامتهم وشجاعتهم في تلقين العدو درسا في البطولة والكفاح، وهو ما يؤكد عليه

الباحث عدة شنتوف في كتابه السينما الجزائرية وحرب التحرير، حيث يقول: " تكمن أصالة موضوع السيناريو في فيلم أبواب الصمت ، في كونه يلفت النظر حول أولئك الأبطال المجهولين، الذين صنعوا أمجاد الثورة المظفرة بمشاركتهم الفعالة في ساحة المعركة، والجهاد، وبتضحياتهم الجسام، دون أن تخلد أسماؤهم ..بل وأكثر من ذلك، غالبا ما كانوا محل نسيان الذاكرة الجماعية، ففيلم أبواب الصمت، يشكل وقفة تكريمية وتحية خالصة لأولئك الذين حرروا الوطن، لكنهم لم يحضوا بالعرفان والتقدير الذي يستحقانه، فقصة الفيلم مستهلة بطبيعة الحال من وقائع حقيقية، شهدتها احدى مناطق

الشرق الجزائري، خلال السنوات الأخيرة من ثورة الفاتح نوفمبر"[7]؛ وهكذا يعد فيلم أبواب الصمت، فيلما ثوريا يعالج موضوعا لا يقل أهمية عن باقي تيمات الثورة التحريرية، التي عالجتها السينما الجزائرية، سواء من حيث الموضوع أو صيرورة أحداثه أو مضمونه ...الخ، حيث حاول عمار العسكري، تكريم فئة من المجاهدين والشهداء، الذين لم يحضوا بالتقدير والعرفان، وبقوا مجهولين لذلك حاول الشهادة على بطولاتهم في فيلمه الروائي أبواب الصمت، الذي يعالج قصة عمار البكوش والتي أبدع مراد بوربون في صياغتها في سيناريو سينمائي، لتحول الى فيلم روائي بالصورة والصوت.

3-1مضمون فيلم أبواب الصمت لعمار العسكري:

تدور أحداث الفيلم حول شخصية عمار البكوش، بعد أن أباد جيش الاحتلال قريته وقضى على سكانها أمام عينيه، بسبب علاقتها بالمجاهدين، والتحاق العديد من أفرادها بجيش التحرير الوطني، حيث حاول

عمار، الانضمام إلى صفوفه، غير أن قيادة جيش التحرير، رفضوه بحكم أنه أبكم لا يستطيع الكلام، إلا أن الإعاقة لم تطفئ عزيمته، مما دفعه إلى البحث عن الانتقام، والثأر لشرفه وسكان قريته من العدو، عندما اختار التجنيد في صفوف جنود الاحتلال، ليمضي باقي حياته داخل الثكنة العسكرية، التي شهدت عملا بطوليا من عمار البكوش، في إلحاق العديد من الخسائر بالعدو والقضاء على العديد من عناصره، قبل أن يستشهد داخل الثكنة العسكرية، التي كانت مسرح الأحداث التي يعالجها الفيلم.

يستهل المخرج قصة الفيلم، بمشهد الاحتفال بعيد الاستقلال في الجزائر، بعد 25 سنه أمام نصب تذكاري، نقشت عليه أسماء الشهداء، وقبل مراسيم الاحتفال، يقوم مجموعة من الناس بإضافة اسم عمار البكوش، إلى قائمة الشهداء، الذي تناسته السلطات، ولم تعترف بشهادته، مما أثار غضب السلطات، معتبرين العمل انتهاكا لحرمة الشهداء، و أن عمار البكوش، لم يكن شهيدا، ولم يلتحق بجيش التحرير، غير أن شخصية صالح الكومبا، والذي كان شاهدا على الأحداث في تلك الثكنة أكدت على شهادة عمار البكوش، وشجاعته في إلحاق العديد من الخسائر بالعدو، عندما يروي قصته، وهو على فراش المرض في المستشفى، فكان هذا المشهد تمهيدا للأحداث البطولية والثورية، التي ترويها شخصية صالح عن طريق الصورة والصوت، لذلك يصور الفيلم ذكريات شخصية صالح الكومبا، باعتبارها شهادة على تلك الملحمة البطولية، التي قام بها عمار البكوش للثأر لسكان قريته وشرفه، من جيش العدو.

يبدأ المخرج قصة عمار بتصوير طفولته، حيث علمه والده أصول الفروسية واستخدام السلاح حتى أصبح قناصا ماهرا، إلا انه تعرض إلى حادثة مؤسفة أثناء سقوطه من الحصان، الأمر الذي جعله أبكم لا يستطيع الكلام، وهو ما جعله يلقب بعمار البكوش، غير أن الإعاقة لم تطفئ عزيمته، حيث حاول الالتحاق بصفوف جيش التحرير، إلا أنه قوبل بالرفض بسبب إعاقته، وفي يوم من الأيام يقوم جنود الاحتلال، بإبادة قريته والقضاء على سكانها أمام عينية، وانتهاك حرمة نسائها، الأمر الذي جعل عمار، يسعى إلى الانتقام، حيث التحق بالتجنيد إلى جانب المستعمر، ليخطط داخل الثكنة العسكرية، للثأر والانتقام من العدو.

وهكذا بدأت حياة عمار داخل الثكنة العسكرية، عندما لاحظ قائدها، مهارته في استخدام البندقية، الأمر الذي جعله يختاره مرافقا لزوجته؛ وتتواصل الأحداث في الثكنة، حتى يلتقي عمار بصالح الكومبا، الذي كان يدعي انتمائه إلى العدو، لكنه في الحقيقة يشتغل في السر إلى جانب جيش التحرير الوطني، عندما يؤكد لعمار، بأن الجبهة تحتاجهما ، حيث لابد عليهما أن يقوما بعملية فدائية والالتحاق بجيش التحرير في الجبل، وهو ما جاء على لسان صالح الكومبا" الجبهة تحتاجني وتحتاجك... أنا وأنت لازم

نعملوا عملية و نطلعوا للجبل"[8].و تتواصل أحداث الفيلم، من خلال تجسيد علاقة عمار بزوجة الضابط، ومرافقته لها في خرجاتها، لحمايتها، وفي يوم من الأيام يلقي جنود الاحتلال القبض على رجلين من عناصر جيش التحرير الوطني، حيث مارسوا عليهما أبشع أنواع التعذيب مما أثار غضب واستياء عمار وصالح، الأمر الذي دفع بهما، للقيام بخطة لوضع حد لحياتهما بناء على طلب منهما، خشية كشف أسرار المجاهدين للعدو، جراء قساوة التعذيب، عندما أطلق عمار الخيول من الإسطبل، فانشغل جنود المستعمر في إعادتها، بينما استغل صالح الكومبا غفلة الحراس والجنود للدخول إلى مكان التعذيب، ووضع حد لحياة الأسيرين اللذين أصبحا على وشك كشف أسرار الجبهة بسبب قساوة التعذيب؛ وتتواصل الأحداث داخل الثكنة وخارجها، بينما عمار يخطط لعملية الثأر والانتقام لسكان قريته وأهله، وفي يوم من الأيام أقيمت حفلة كبيرة في تلك الثكنة العسكرية، بين الضباط والجنود وشخصيات مهمة من السلطات الاستعمارية، وعملاء المستعمر، احتفالا بعيد النصر الفرنسي في 14 جويلية، وبينما الجميع مشغولون بذلك الحفل، استغل عمار تلك الخطة وأطلق النار على الحراس، وراح يطلق وابلا من الرصاص على كل عناصر العدو، ضباط وجنود وعملاء الذي كانوا في قاعة الحفل، حيث قضى على عدد كبير منهم، إلى درجة أنه الحق بالعدو خسائر كبيرة، ولم يستطع جنود الاحتلال القضاء عليه، إلا باستعمال الدبابة، التي فجرت المكان الذي كان يختبئ فيه.

3-2- طبيعة الشخصيات الثورية وعلاقاتها في سيناريو فيلم أبواب الصمت:

يتناول سيناريو الفيلم شخصيات ثورية ترنو إلى الحرية، و ترمز إلى البطولة والكفاح ضد المستعمر الفرنسي، وتشير إلى العديد من أبطال الثورة الذين ناضلوا بطريقتهم الخاصة، للرد على المستعمر بكل أساليب الكفاح والتضحيات، رغم الإعاقة، فشخصية الفيلم البطلة عبرت عن فئة من المجاهدين والشهداء، الذين وان لم تكتب أسماؤهم في قائمة الشهداء، إلا أن تضحياتهم وبطولاتهم بقيت خالدة في أذهان من عاشوا إلى جانبهم، ورافقوهم في الكفاح، وهو ما يتجلى في شخصية عمار الأبكم –البكوش– كما يسمى في الفيلم، الذي عبر المخرج وكاتب السيناريو من خلاله، عن شريحة من شرائح الشعب الجزائري، وتضحياتها في سبيل الوطن، رغم الإعاقة التي لم تكن عائقا أمام تصميمهم، في ردع العدو، وهو ما كان في شخصية عمار، الذي جعل منه بطلا في الفيلم، بلا منازع. ترتبط شخصية عمار، باعتبارها الشخصية

البطلة، بالعديد من الشخصيات، في مجرى أحداث الفيلم، كون أن علاقتها كشخصية بطلة، بباقي الشخصيات، هي ما ترسم مجرى الأحداث وتطوراتها في السيناريو، فهي كباقي الشخصيات في السيناريو السينمائي، حيث " تسير نحو التطور بنفس الوتيرة التي تنمو فيها أحداث القصة وتتطور ...والسيناريو هو المسؤول عن تطور شخصياته، إلى الحد الذي تحتاجه، حتى تتمكن من الوصول إلى الهدف"[9]. خاصة ما تعلق بالشخصية البطلة، التي تسعى إلى تحقيق أهدافها، وتجاوز العقبات والقوى المضادة والشخصيات المعارضة لها، حيث يجب أن يكون لكل شخصية، وخاصة البطلة منها، أهداف واضحة تسعى إليها، عبر مراحل تطور القصة، وكذا تطور الشخصية البطلة وباقي الشخصيات في أحداث الفيلم؛ وهو ما يتجلى في طبيعة الشخصيات في فيلم أبواب الصمت من خلال مواقفها وخصائصها واتجاهاتها وعلاقاتها بالشخصية البطلة.

عموما إن الشخصيات "تتعدد حسب أهميتها في السيناريو، لذلك لا يجب إغفالها ،بل يجب تقديمها الى المتلقي حسب موقعها من الأحداث ودورها في البناء الدرامي للأحداث، ومدى أهميتها في صيرورة الأحداث وتسلسلها، وذلك بعرضها من جوانبها المتعددة–النفسية–العاطفية–الأخلاقية–الهيئة الخارجية–الوضع الاجتماعي –الميول والنزاعات....والشخصيات هي التي تسير بالأحداث إلى الذروة إذ لابد أن تكون لها القدرة على الفعل لتحقيق الهدف".[10]، حيث تظهر هذه الخصائص في شخصيات فيلم أبواب الصمت، التي رسمها كاتب السيناريو، وصورها المخرج باتجاهاتها الثورية، أو المضادة، وكذا موقعها في القصة على المستوى الاجتماعي، والفيزيولوجي، وطبيعتها ببعضها في الأحداث، وكذا علاقتها بالشخصية البطلة.

شخصية عمار الأبكم:

هو شخصية بطلة ثائرة، ومصممة على الانتقام من العدو، في اتجاهين، الأول هو الثأر لسكان قريته، التي أبادها جيش الاحتلال، والثاني هو الثأر لشرفه، بسبب انتهاك جنود العدو، لحرمة نساء قريته، وهو ما جسده كاتب السيناريو، ومخرج الفيلم، في علاقة عمار بشخصية زوجة الضابط التي وصلت الى حد الانفصال بينهما – الضابط وزوجته – ويتناول سيناريو الفيلم، شخصية عمار بنزوعها الثوري وسعيها وتخطيطها للانتقام والثأر منذ المقاطع الاولى للفيلم والالتحاق بالتجنيد الى جانب المستعمر كما جعلها السيناريست ومخرج الفيلم اكثر تميزا عن باقي الشخصيات وذلك بتجسيده كشخصية معاقة لا يستطيع الكلام –ابكم –يسعى الى الثورة ضد الظلم الذي تسبب فيه الاحتلال حيث يتناولها كاتب السيناريو ويصورها

المخرج ببطولتها وشهامتها واتجاهها الثوري التحرري من خلال مهارته في استخدام السلاح وحتى الجانب الفيزيولوجي الذي لم يغفل المخرج عنها عندما صورها بشهامتها وبطولتها.

- **شخصية الضابط وجنود الاحتلال:**

هي رمز لغطرسة المستعمر، جعلها كاتب السيناريو طرفا مهما في الفيلم، لتعبر عن القوة المضادة والمعاكسة للشخصية الثورية البطلة، كون أن شخصية عمار، تعبر عن الطرف الثائر ضد الظلم والغطرسة وبهذه الشخصيات –الضابط وجنود الاحتلال ، وفي المقابل شخصية عمار البطلة بمعية صالح الكومبا– خلق كاتب السيناريو قوتين متضاربتين لخلق الأزمات والصدامات والصراع الدرامي، الذي سيبنى عليه الحدث الدرامي في الفيلم، حيث يتم من خلال ذلك، خلق تيمة الفيلم بموضوع ثوري، لذلك تناول السيناريو هذه الشخصية، بموقعها الاجتماعي –ضابط فرنسي– وبعجرفتها واتجاهها كرمز للاستعمار والظلم والطغيان، وانشغالها الدائم بظروف الحرب والتعذيب ...الخ، الأمر الذي جعله يهمل واجبه العائلي، والزوجي تجاه زوجته.

–زوجة الضابط:

يتناول الفيلم هذه الشخصية، بجمالها ومكانتها الاجتماعية الرفيعة، كونها زوجه ضابط في قوات الاحتلال، إلا أن كاتب السيناريو والمخرج، قد جعلاها أكثر إنسانية؛ مقارنة بزوجها الضابط وجنود الاحتلال، من خلال تجسيد تذمرها، من أجواء الحرب والتعذيب والتقتيل، الذي يمارسه زوجها الضابط وجنوده في حق الأسرى، من أفراد الجبهة والجزائريين بشكل عام، إضافة إلى تجسيد علاقتها الإنسانية بعمار، الذي كان حارسها في خرجاتها للصيد أو التسوق، وهو ما نشاهده في العديد من مقاطع الفيلم التي صور فيها المخرج بكل جرأة، قوة العلاقة الحميمية، التي جمعتها بعمار البكوش، و التي تطورت مع مجريات الفيلم، الى علاقة عاطفية، نظرا لما وجدته في عمار البكوش، مقارنة بزوجها، الذي كان لا يهمه سوى الحرب، والغطرسة في حق الجزائريين.

لعبت هذه الشخصية، دورا مهما في قصة الفيلم، حيث وظفها كاتب السيناريو، للإشارة إلى العديد من الأفكار، التي قد تجول في ذهن المشاهد، والتي لها علاقة بالشرف من جهة، والرد على الآخر عن طريق الصورة والصوت ،من جهة ثانية، كون أن مشاعرها –زوجة الضابط–تجاه عمار بعد مرافقتها الدائمة

وعلاقتها العاطفية به، وصلت بها إلى حد توتر علاقتها بزوجها، الذي كان همه الوحيد هو التعذيب والحرب والظلم تجاه الشعب الجزائري...الخ، لذلك أراد السيناريست والمخرج من خلالها، التعبير عن ثأر عمار لشرفه من الضابط، الذي انتهكه جنود الاحتلال، تجاه نساء القرية، أثناء إبادتها، كما يصوره المخرج في بداية الفيلم في مشهد الإبادة التي تعرضت لها القرية، وصور عمليات استحياء نسائها، والتي كانت منهم خطيبة عمار نفسه، وفي ذلك تحقيق لإحدى الأهداف الرئيسية، التي تسعى اليها الشخصية البطلة، وهي شخصية عمار البكوش ضد المستعمر، وضابط الثكنة، وتتطور الأحداث بتطور الشخصيات ونموها في الفيلم، من خلال علاقة عمار بشخصية – صالح–

–شخصية صالح:

تعبر هذه الشخصية عن فئة من المناضلين، الذين يشتغلون لصالح الثورة في الخفاء، ودعمهم لجبهة التحرير، رغم تواجدهم رفقة المستعمر، لذلك يتناول سيناريو الفيلم، شخصية صالح الكومبا كشخصية ثورية مناضلة، إلى جانب جبهة التحرير من داخل الثكنة العسكرية، هذا الأمر الذي جعلها على علاقة بالشخصية البطلة –شخصية عمار البكوش – كونهما على اتجاه واحد في دعم الثورة والوقوف ضد العدو وهو ما كان على لسان شخصية صالح في الفيلم، عندما يحدث عمار قائلا " أنا وأنت، الجبهة تحتاجني وتحتاجك ... لازم نعملوا عملية ونطلعوا للجبل ".[11].وتتجلى طبيعة العلاقة بين هاتين الشخصيتين –صالح وعمار– في التخطيط لوضع حد لحياة الأسيرين من أفراد الجبهة اللذان عانيا من التعذيب، بناء على طلب منهما حماية لأسرار الجبهة ،عندما يساعد عمار صديقه صالح، في وضع حد لحياتهما كي لا يفشيا اسرار الجبهة جراء التعذيب .

4–البناء الدرامي للحدث الثوري في موضوع فيلم أبواب الصمت:

يتميز فيلم أبواب الصمت، ببناء درامي تتساير فيه الأحداث وتتطور بتطور شخصياته في شكل حبكة درامية، من بداية ووسط ونهاية، وكما هو الحال في الأفلام الروائية، التي يعتمد فيها كاتب السيناريو" على المشاهد المرتبطة ببعضها، وفق تطور الأحداث الدرامية، من البداية إلى التعقيد والذروة، ثم النهاية والحل، من خلال مجموعة من الأدوات التي يتكون منها الحدث الدرامي، والمتمثلة في أهداف الشخصية التي تدفعها نحو النهاية، وكذا الصراع والعقبات والتعقيدات، التي تتعرض لها الشخصية في مسارها نحو تحقيق

أهدافها. [12]، اعتمد كاتب سيناريو فيلم أبواب الصمت، على بناء درامي للأحداث وفق تطور الشخصية البطلة – أي شخصية عمار البكوش – ومسارها نحو تحقيق هدفها في الثأر والانتقام من العدو، لذلك فان المشاهد للفيلم، يدرك من خلال سيرورة الأحداث وتتابعها، ذلك البناء الدرامي المحكم، للحبكة الدرامية، في سيناريو فيلم أبواب الصمت، من خلال الأحداث المتتالية وفق تطور الشخصية البطلة.

ولأن كتابة السيناريو عموما؛ تتطلب من السيناريست " أن يختار من أين سيبدأ قصته السينمائية، فهناك من يبدأ بتعريف الشخصيات الرئيسية، ثم العقدة ثم الحل ،وهناك من يبدأ بالعقدة، ومن خلالها يعرفنا على الشخصيات الرئيسية، ثم هناك من يبدأ بالنهاية القريبة من الحل، ليبدأ في عرض ما وقع من عقد، وما لقيته الشخصيات من مصاعب، ومتاعب حتى وصلوا، إلى هذه النهاية..."[13]وهذه الطريقة الأخيرة ربما تنطبق على سيناريو أبواب الصمت، حيث يحاول كاتب السيناريو ومخرج الفيلم، منذ البداية الإشارة إلى الاعتراف بوجود العديد من المناضلين والشهداء المجهولين، الذين ضحوا بحياتهم في سبيل الوطن والحرية، رغم عدم انتمائهم إلى جيش التحرير، وفي المقابل لم تنقش أسماؤهم في قائمة الشهداء لذلك يبدأ الفيلم، بتجسيد الاحتفال بعيد الاستقلال بعد 25 سنة، ثم تليه شهادات إحدى الشخصيات المناضلة– وهو صالح الكومبا– الذي يروي قصة عمار وملحمته البطولية ، حيث تناول كاتب السيناريو أحداثها، في شكل بناء درامي متماسك، من خلال الأحداث التي تتطور بتطور الشخصية الدرامية في الفيلم.

4-1-بداية الفيلم :

يبدأ فيلم أبواب الصمت، بمشهد الاحتفال بعيد الاستقلال بعد 25 سنة، حيث أراد السيناريست ومخرج الفيلم، التمهيد لباقي الأحداث التي ستعالج من خلالها قصة عمار البكوش، و يكمن جوهر هذا الحدث، في الإشارة إلى وجود العديد من الشهداء، الذين لم يحضوا بالاعتراف بتضحياتهم بعد الاستقلال لكنه وفي المقابل، هناك العديد من الشهود، الذين عاشوا معهم وشهدوا على ملاحمهم البطولية، إبان الثورة، لذلك يصور الفيلم في أولى مشاهده، وقائع الاحتفال بعيد الاستقلال، في إحدى مناطق الشرق الجزائري، حيث أضيف اسم عمار البكوش، إلى قائمة الشهداء، من قبل سكان المنطقة، اعترافا ببطولته وشهادته في سبيل الثورة والوطن، بناء على شهادات صالح الكومبا، الذي رافقه طيلة الأحداث التي يرويها الفيلم، وهكذا يروي صالح الكومبا مجريات الأحداث، وهو على فراش المرض، بينما يتناول السيناريو، تلك الأحداث التي يرويها صالح الكومبا، بشكل أشبه ما نسميه بالفلاش باك، ليتم تجسيد ذكرياته بالصورة والصوت، وهكذا وبعد هذا

المشهد التمهيدي للقصة، جاء البناء الدرامي للحدث متسلسلا بتتابع الأحداث وتطورها بسرعة كبيرة، وفق ما يقتضيه السرد الصوري للقصة السينمائية، حيث تسير نحو الذروة إلى النهاية، في شكل نسيج درامي متماسك من الأحداث، التي ميزت سيناريو هذا الفيلم، وهو ما يتجلى في أهم الأحداث التي تشكل البنية الدرامية للفيلم، فبعد المشهد التمهيدي، يأخذنا السيناريست ومخرج الفيلم من خلال تصوير ذكريات صالح الكومبا وهو على فراش المرض، إلى تجسيد مجموعة من الأحداث، التي تسير بسرعة، حيث تناول من خلالها، طفولة عمار وحياته اليومية وأجواء قريته، التي رمزت أكثر من أي مكان، إلى واقع الثورة، والفترة الاستعمارية آنذاك.

2.4-طفولة عمار وأجواء القرية :

بعد المشهد التمهيدي تبدأ قصة عمار البكوش في الفيلم، بتجسيد طفولته وأجواء قريته، التي نما وترعرع فيها، حيث تلقى من والده تربية على الشجاعة والفروسية، وحسن استخدام السلاح، الأمر الذي جعله قناصا ماهرا، ويصور الفيلم محطة مهمة من حياة عمار، أناء تعرضه لحادث السقوط من فوق الحصان، الأمر الذي تسبب له في الإعاقة، التي جعلته أبكم لا يستطيع الكلام، كما يصور الفيلم بسرعة كبيرة، تطور شخصية عمار، منذ مرحلة الطفولة، حتى شبابها داخل قريته، ووسط عائلته.

3.4-محاولة التحاق عمار بصفوف جيش التحرير:

تتساير الأحداث في سيناريو الفيلم بسرعة كبيرة، عندما يصور المخرج محاولة عمار الالتحاق بصفوف جيش التحرير، لكن قيادة الجبهة رفضته بسبب إعاقته، ونظرا لعلاقة سكان القرية بجيش التحرير وانضمام العديد من أفرادها إلى صفوفه، تتعرض لإبادة جماعية من قبل جنود الاحتلال، عندما يصور الفيلم، هبوط مروحيات العدو، واقتحام الجنود للقرية، وتصوير المجزرة الشنيعة التي ألحقت بأهلها، والقضاء على سكانها، وانتهاك حرمة نسائها، وفي نفس المقطع من أحداث الفيلم، يعود عمار مسرعا إلى قريته ويشاهد تلك المجزرة الشنيعة في حق أهله وسكان قريته وانتهاك حرمة وشرف نسائها أمام عينيه؛ الأمر الذي يدفعه إلى الثأر، والانتقام من العدو، في باقي أحداث الفيلم الموالية.

تعتبر هذه الأحداث التي تناولها كاتب السيناريو في فيلم أبواب الصمت، خاصة – رفض جبهة التحرير لعمار بسبب الإعاقة ،وإبادة القرية وانتهاك حرمة نسائها، والقضاء على سكانها أمام عينيه– حافزا ودافعا

للشخصية البطلة في مسارها الثوري، وهو ما ينطبق على شخصية عمار– بوصفه شخصية بطلة –في اتجاهه الثوري ضد العدو، في مختلف محطات القصة الفيلمية ، حيث أراد من خلالها كاتب السيناريو إثارة التوتر والتأزم ليبعث الصراع الدرامي في باقي الأحداث المتتالية، كون أن نجاح الحبكة في السيناريو يقتضي التركيز على نقاط التأزم والاصطدام؛ يقول ليندا كاوغيل في كتابه فن رسم الحبكة السينمائية " تعتمد الحبكة الناجحة على الصراع والحركة لبناء التوتر والقوة الدافعة، بينما لابد لها أن تكشف الشخصية والحافز في الوقت نفسه كي يتولد المعنى".... [14].

لذلك فان هذه الأحداث في الفيلم، المتمثلة في محاولة التحاق عمار بصفوف جيش التحرير، ورفض هذا الأخير له بسبب الإعاقة، ويليه حدث إبادة القرية والقضاء على سكانها، تعتبر كلها بداية التأزم والتعقيد في البناء الدرامي للفيلم، جعل منها كاتب السيناريو منعرجا حاسما في حياة الشخصية البطلة وحافزا ودافعا لها في مساره الثوري، والسعي الانتقام من المحتل عبر تطور الأحداث.

4.4–تجنيد عمار في ثكنة المستعمر:

تتطور الأحداث في سيناريو الفيلم، بتطور الشخصية واتجاهها الثوري، ونواياها وتطلعاتها، حيث يبدأ عمار بالتخطيط للقيام بعملية الثأر، بدءا بالالتحاق بالتجنيد في صفوف المستعمر، عندما يلبي نداء القايد– العميل الفرنسي – الذي قام بتحريض الشعب على ضرورة التجنيد لصالح المستعمر، ضد المجاهدين، الذي وصفهم حسب رأيه، بالسبب الرئيسي في إبادة قرية عمار وسكانها، غير أن التحاق عمار بالتجنيد داخل الثكنة العسكرية، لم يكن نزولا عند رغبة العميل الحركي، بل كانت إحدى خطواته للتخطيط لعملية الثأر من العدو، داخل الثكنة، كونها الطريقة المناسبة التي ستجعله قريبا من عناصر العدو الذين أبادوا قريته، لذلك يصور الفيلم، إصرار عمار واستجابته، لخطاب القايد والالتحاق بالتجنيد داخل الثكنة، لتنحو شخصية عمار في الفيلم منحى آخر، داخل الثكنة العسكرية، بغية تنفيذ هدفه في الأخذ بثأره من جنود الاحتلال وضباطه ...الخ؛ كما يتناول السيناريو حدث اختبار جنود الاحتلال للمسلحين الجدد إلى صفوفه، في مهارة الرمي، عندما يلاحظون مهارة عمار في استخدام البندقية والإصابة الدقيقة للأهداف، الأمر الذي يجعله يتعرض لمعاملة قاسية بسبب مهارته في استخدام السلاح، لكن سرعان ما يتدخل الضابط ويختاره مرافقا وحارسا لزوجته في خرجاتها للصيد والتسوق، وهكذا تبدأ الشخصية الرئيسة –عمار البكوش – في الاقتراب من الشخصيات المستهدفة –الضابط وزوجته وجنود الاحتلال– وهي إحدى المحطات الهامة التي ركز

عليها كاتب السيناريو، وصورها المخرج، والمتعلقة بالمواقف الرئيسية التي تقف عندها الشخصية، والتحولات الرئيسية في مسار الأحداث المتعلقة بشخصية البطل، نحو تحقيق أهدافها في القصة الفيلمية.

5.4- علاقة عمار بزوجة الضابط:

يصور الفيلم مع تطور الأحداث، علاقة عمار بزوجة الضابط، ومرافقته المستمرة لها في خرجاتها وتسير الأحداث وتتطور بسرعة، عندما يصور مشاهد الصيد بين هاتين الشخصيتين، كما يصور تطور العلاقة بينهما بكل جرأة؛ حيث أراد كاتب السيناريو والمخرج من خلالها رد الاعتبار للمشاهد حول الأخذ بالثأر لشرف نساء القرية من الضابط الفرنسي عندما يجسد العلاقة العاطفية التي وقعت بين زوجة الضابط وعمار البكوش بكل جرأة في العديد من المواقف التي عاشتها الشخصيتين في الفيلم، والتي وصلت إلى درجة توتر العلاقة بين الضابط وزوجته، كونها وجدت في عمار ما لم تجده في زوجها الضابط الذي لا تهمه سوى أجواء الحرب، والتعذيب والغطرسة، في حق الشعب الجزائري ؛ تلك التي لم تتحملها زوجته؛ التي أحست في علاقتها بعمار، بقوة الشعب الجزائري و إصراره على الحرية، بينما لم تجد في زوجها الضابط، سوى الفشل والانهيار، وهو ما صرحت به في مشهد الشجار مع زوجها؛ فمن خلال هذه الأحداث والعلاقة التي جرت بين زوجة الضابط وعمار، يمكن القول أن كاتب السيناريو، قد وظفها بغية رد الاعتبار للشخصية البطلة، وتحقيق عنصر التحول والتطور لدى الشخصية الرئيسية، في تحقيق إحدى أهدافها المسطرة، عبر صيرورة الأحداث.

6.4- إصرار عمار على الثأر من العدو:

تتواصل أحداث الفيلم في تطورها نحو التعقيد والذروة، عندما يعيدنا كاتب السيناريو ومخرج الفيلم الى أجواء الثكنة العسكرية، حيث يتناول أحداثا أخرى من يوميات عمار وصالح الكومبا داخل الثكنة، ويركز كاتب السيناريو والمخرج على العديد من المواقف المهمة، المتعلقة بعمار وصالح الكومبا، وذلك لإبراز طبيعة العلاقة بين الشخصيتين، واتجاههما الثوري، عندما يصور في أحد المشاهد، الحديث الذي دار بين عمار وصالح، الذي يذكره بضرورة دعم الجبهة، رغم تواجده داخل الثكنة ويحفز عمار على ضرورة مشاركته في القيام بعملية فدائية والالتحاق بالجبهة، وهو ما جاء على لسان صالح الكومبا في خطابه لعمار :...أنت كنت معول تطلع للجبل، بصح المكتوب ما سهلكش ...بصح ضروك عندك ما تعاونا عندك ...شوف تأدي

واجبك أهنا ولا فالجبل كيف كيف ..الجبهة تحتاجني وتحتاجك.. أنت راك قريب من القبطان وعيالو... خير منا حنا ...همالا ما تنساش الجبهة تحتاجنا"..[15] ؛ وبعدها يأخذنا كاتب السيناريو ومخرج الفيلم، إلى مشهد دخول شاحنات جنود الاحتلال، إلى الثكنة وإلقاء القبض على رجلين من أفراد جبهة التحرير الوطني، حيث مارسوا عليهما أبشع أنواع التعذيب؛ مات على إثرها أحد الأسيرين أما الثاني فبقي يعاني قساوة التعذيب داخل الزنزانة، الأمر الذي دفع بصالح الكومبا إلى وضع حد لحياته، وذلك بناء على طلب منه، خوفا من كشف أسرار جبهة التحرير، كونه أصبح لا يتحمل المزيد من التعذيب، وهكذا يضع صالح حدا لأحد الأسيرين، حماية لأسرار الجبهة وجيش التحرير الوطني كي لا يقر بها جراء التعذيب، وهنا يظهر الاتجاه الثوري لشخصية صالح، عندما يخطط مع صديقه عمار للقيام بعملية وضع حد لحياة الأسيرين، حيث يطلق عمار الخيول من الإسطبل، كي ينشغل الحراس والجنود داخل الثكنة بإعادتها، بينما يستغل صالح الكومبا غفلتهم، ويقوم بفعلته لصالح الثورة وحماية لأسرار الجبهة.

7.4- أثر العملية الفدائية لجبهة التحرير:

هكذا تتساير الأحداث وتتطور نحو الذروة والتعقيد، من خلال مجموعة من الأحداث التي تمر بسرعة تناول فيها كاتب السيناريو، مجموعة من الأحداث الثانوية، ووقائع مختلفة ، كما يصورها الفيلم حيث تسير كذلك وفق تطور الحدث الرئيسي، منها العملية الفدائية التي قام بها أحد أفراد جبهة التحرير في السوق، وإطلاق النار على أحد الشخصيات الرفيعة المستوى لدى السلطات الاستعمارية، بطريقة مهينة الأمر الذي دفع بالحارس، إلى إطلاق عشوائي لوابل من الرصاص داخل السوق، بينما زوجة الضابط وعمار في عين المكان، أين يتدخل هذا الأخير لحمايتها ، ويصور الفيلم ردة فعل السلطات الاستعمارية جراء هذه العملية الفدائية، عندما يصور مراسيم تشييع جنازة القتيل الفرنسي، وإصرار عناصر العدو من الشخصيات الاستعمارية، على الانتقام من كل جزائري يجدونه في طريقهم، ورغم محاولة العميل إيقافهم إلا أنهم قضوا على شيخ عجوز، أمام مرأى من عيني ولديه، في مشهد مأساوي، انتقاما من جبهة التحرير والعملية الفدائية التي قام بها أحد أفرادها، في القضاء على شخصية استعمارية مهمة، حيث أراد كاتب السيناريو وبعده مخرج الفيلم من خلال هذه الأحداث التي تتطور بسرعة كبيرة، تجسيد بطولة أفراد جبهة التحرير، ومواصلة تعقيد الأحداث وخلق نوع من التوتر الذي يسبر نحو الذروة، من خلال مشهد العملية الفدائية، وفي المقابل

جبن وغطرسة وجبروت المستعمر، في حق الشعب الجزائري، من خلال تجسيد مشهد قضاء أفراد المستعمر على شيخ هرم ضعيف واعزل كردة فعل على العملية الفدائية.

وهكذا يحاول كاتب السيناريو، من خلال هذه الأحداث الثانوية، خلق نوع من التوتر والتأزم الذي يدفع الحدث الرئيسي إلى التطور نحو النهاية، وبعدها يعيدنا كاتب السيناريو ومخرج الفيلم إلى أجواء الثكنة ويوميات عمار وصالح الكومبا داخلها، الذي كان يحث عمار دائما، على ضرورة دعم الجبهة، والقيام بعملية فدائية، والالتحاق بصفوف جيش التحرير.

8.4- عمار وتنفيذ خطة الثأر:

يشكل هذا الحدث مرحلة مهمة في تأزم الأحداث وتعقيدها، ويعتبر ذروة القصة الدرامية التي تدفع بالشخصية البطلة نحو تحقيق هدفها المنشود منذ البداية، و هكذا يعالج سيناريو الفيلم بعد الأحداث السابقة مشهد "الاحتفال بعيد النصر لفرنسا يوم 14 جويلية، داخل الثكنة بين الضباط والجنود وشخصيات رفيعة المستوى من السلطات الاستعمارية"[16]، وبينما الجميع مشغولون بمراسيم الحفل، يستغل عمار الوضع لتنفيذ العملية، عندما يقضي على الحارس، ثم يواجه الجميع وهم في قاعة الحفل، بوابل من الرصاص حيث يقضى على عدد كبير من الجنود والضباط وعملاء والشخصيات الاستعمارية، الذين كانوا في الحفل، ملحقا بهذا العمل البطولي خسائر كبيرة في صفوف المستعمر داخل الثكنة العسكرية، انتقاما لسكان قريته وأهله؛ ومن خلال تجسيد هذا الحدث، تكون الشخصية البطلة قد وصلت إلى تحقيق هدفها الرئيسي في القصة، وهو ما تناوله كاتب السيناريو، وجسده المخرج عمار العسكري، بالصورة والصوت عندما يصور مشهد قضاء عمار على الحارس، وبعدها تتطور الأحداث بسرعة، عندما يصور قضاء عمار على العديد من عناصر العدو، وهم يحاولون الفرار من قاعة الاحتفال، وبهذا تكون شخصية البطل عمار البكوش، قد وصلت إلى هدفها الرئيسي، في سعيها منذ بداية الأحداث نحو الثأر لسكان قريته، التي أبادها جنود الاحتلال، في أولى أحداث ومقاطع الفيلم.

9.4-نهاية الفيلم واستشهاد عمار البكوش:

ينتهي الفيلم بمشهد استشهاد عمار البكوش بشكل بطولي، بعدما قام بعمليته الفدائية داخل الثكنة والأخذ بالثأر من العدو لأهله وسكان قريته، الذين قضى عليهم جنود الاحتلال في بداية القصة ،حيث بقي عمار

مختبئا في مخزن الأسلحة والذخيرة، بعد العملية حتى الصباح، ولم يستطع أحد من جنود الاحتلال الاقتراب من المكان، الأمر الذي دفع بعناصر العدو وضباط الثكنة، إلى اللجوء إلى استخدام الدبابة، ونسف مخزن الذخيرة داخل الثكنة، أين كان يختبئ عمار البكوش، ويستشهد هذا الأخير في نهاية الفيلم، بعدما لقن العدو درسا في البطولة والكفاح، وبهذه النهاية تنتهي قصة عمار البكوش، بوصفه الشخصية البطلة في الفيلم، بعدما حققت أهدافها، لذلك نلاحظ مع تطور الأحداث منذ البداية، أنها تسير وفق تطور الشخصية، نحو تحقيق أهدافها، حيث تمر بعقبات، وتتعرض لصراعات وتعقيدات، بغية الوصول إلى الذروة والنهاية والحل، وهكذا ومن خلال مشاهدة الفيلم، يمكن القول، أن كاتب السيناريو قد خلق نسيجا متماسكا من الأحداث الدرامية، تسير وفق تطور الشخصية البطلة، وهو ما نلاحظه في صيرورة الأحداث التي تهدف من خلالها الشخصية البطلة، إلى الأخذ بالثأر لسكان القرية، وشرف نسائها، وهكذا فان : طبيعة الفيلم، اقتضت من كاتب السيناريو، التعامل مع الأحداث وفق تحرك الشخصيات، وهي خاصية فنية، وأسلوب متعارف عليه في كتابة سيناريو الفيلم الروائي، الذي يركز فيه كاتب السيناريو، على الأهداف الذي تسعى اليه الشخصيات رئيسية /بطلة؛ أو المضادة ،أو الثانوية المؤيدة للبطل في تحركاته داخل القصة الفيلمية، أو مضادة له؛ فمسار الأحداث يكون حسب مسار الشخصيات وتطورها نحو الهدف والنهاية، فعندما نقول أن شخصية ما لها هدف، فاننا نعني بذلك أنه يستمر في محاولته للتحرك في اتجاه معين، لكي يحقق غرضا معينا، وأهداف أي شخص نوعان –أهداف فورية وأهداف بعيدة المدى؛... فالأهداف نتاج للمواقف في قصتك، أنت تختارها، وتعدها لشخصياتك،.....ثم تصيغ لها المبررات، حتى يتقبل العقل، مثل هذا السلوك.

يظهر هذا الأمر في البناء الدرامي للأحداث، في فيلم أبواب الصمت، حيث يدرك المشاهد للفيلم تطور الأحداث وفق تطور البطل عمار وسلوكاته، رفقة باقي الشخصيات، نحو الهدف الرئيسي، في مختلف المشاهد، ومحطات القصة الفيلمية.

تسير شخصية البطل في ما يسمى بدائرة الانتقام، اذ يرتبط مسارها نحو الهدف، بعلاقتها مع العديد من الشخصيات سواء كانت مؤيدة لها، أو مضادة، اضافة الى شخصيات أخرى كانت وسيلة لوصول عمار الى البطل المضاد، مثل علاقة عمار بزوجة الضابط، والتي جعلته يحقق جانبا مهما من هدفه في الثأر للشرف، من خلال العلاقة بين عمار وزوجة الضابط، التي تطورت الى علاقة عاطفية، وهكذا يكون وصول عمار الى الضابط من خلال زوجته، وهو ما يؤكد عليه الحوار الذي يدور بين صالح الكومبا وشخصية البطل عمار البكوش.... صالح: ...انت راك قريب من القبطان و عيالو

خير منا حنا".....[17].كما أن تطور بقية الأحداث، ساهمت في دفع شخصية البطل الى الأمام، نحو تحقيق الهدف الرئيسي في الثأر لشرفه وأهله وسكان قريته، الذين أبيدوا من طرف جنود الاحتلال، خاصة وأن الفيلم يصور عودة عمار، الى تذكر تلك الحادثة المؤلمة في العديد من محطات الفيلم تلك التي تظهر في مشاهد من الفيلم المتمثلة في : 1- المشهد الذي يلي علاقة عمار بزوجة الضابط /2-بعدها في مشهد الثأر والمعركة داخل الثكنة- عندما يصور عودته الى تلك الذكرى المؤلمة، وهو يطلق النار على أحد الضباط الذين مارسوا أبشع انواع التقتيل في حق سكان قريته، حيثجمع المخرج بين تجسيد ذاكرة عمار أثناء اطلاقه للنار، والأخذ بالثأر والانتقام منالعدو، ومن خلال هذه المشاهد، يحاول المخرج اعطاء مبرر شرعي، لسلوك البطل والعملية التي قام، ضد العدو داخل الثكنة العسكرية.

5-الصراع في سيناريو فيلم أبواب الصمت:

يدرك المشاهد لفيلم أبواب الصمت منذ البداية، طبيعة الموضوع الثوري الذي يعالج صراع قوتين متضاربتين، تعبر عنها مختلف الشخصيات، باتجاهاتها المختلفة، سواء كانت ثورية أو مضادة؛ من خلال اصطداماتها وتناقضاتها، التي تثير التوتر في مجرى الأحداث التي تعيشها الشخصيات، على اختلاف موقعها في القصة، ولأن عملية بناء الحبكة السينمائية للأحداث في سيناريو الفيلم الروائي، تقتضي خلق صراع درامي، يستند على العناصر الرئيسية لخلق التوترات والتعقيدات المتمثلة في المشكلات التي تواجهها الشخصية الرئيسية، وصدامات بين الشخصيات والعقبات التي تثير التوتر، وتستثير المشاهد الى التعاطف مع البطل حتى النهاية[18]، فان طبيعة فيلم أبواب الصمت، باعتباره فيلم روائي، تقتضي بناء دراميا مؤسسا على صراع، ناتج على تصادم قوتين متناقضتين، الأولى ايجابية والثانية سلبية.

نستنتج من خلال مشاهدة تطور الأحداث في الفيلم، أن كاتب السيناريو، قد خلق صراعا تأسس على مجموعة من الصدامات والأزمات التي يتطور من خلالها الصراع الدرامي، في القصة حيث قسم شخصيات الفيلم الى قسمين :يتمثل القسم الأول: في الشخصيات الايجابية ذات الاتجاه الثوري من خلال شخصية البطل عمار البكوش، والشخصيات الثانوية التي تدعمه في مساره الثوري، نحو تحقيق هدفه في الثأر من العدو، مثل شخصية صالح الكومبا ،أما القسم الثاني: فيتمثل في الشخصيات السلبية المعبرة عن القوى المضادة، لمسار البطل الثوري، مثل شخصية الضابط وجنود الاحتلال، والشخصيات المعبرة عن السلطات المستعمر، وشخصية العميل الحركي التي تقمصها الممثل، بن يوسف حطاب في الفيلم؛ وبهذه الشخصيات

التي تمثل الأقطاب الرئيسية في الصراع، عمد كاتب السيناريو مثلما نلاحظه في مجريات أحداث الفيلم، إلى خلق نوع من التوتر والتأزم، الذي يتطور نحو الذروة والنهاية، من خلال التركيز على خلق مجموعة من الصدامات، بين البطل والقوة المضادة، المتمثلة في ظلم وقمع المستعمر للبطل، وسكان قريته، وتظهر هذه الصدامات التي خلقت عن طريقها مجموعة من الأزمات عبر مسار تطور قصة البطل منذ بداية الفيلم، حيث نراها تنمو عبر تتابع الأحداث، والمشاهد التي تصور سلوك وردة فعل الشخصية البطل، ضد القوى المضادة.

يبدأ الاصطدام في بداية الفيلم "بين البطل عمار البكوش، ونقيضه المتمثل في جنود الاحتلال من خلال مشهد قضاء جنود الاحتلال على سكان القرية ، وانتهاك شرف نسائها، أمام مرأى عمار البكوش، وهو صدام أراد كاتب السيناريو ومخرج الفيلم من خلاله، بداية صريحة للإشارة الى الصراع الرئيسي، الذي تعيشه الشخصية البطلة، ضد المستعمر، المتمثلة في باقي الشخصيات السلبية، في الفيلم"[19]؛ ومنه فان الصراع الدرامي في فيلم أبواب الصمت، بني على الاصطدام بين شخصيات ثائرة تسعى الى الحرية والانتقام من العدو، وبين قوى ظالمة تمثل الظلم و الطغيان

6-الإطار المكاني في سيناريو الفيلم:

يتغير الإطار المكاني في فيلم أبواب الصمت، بتغير الأحداث التي تجسد قصة عمار البكوش، غير أن المكان العام يتمثل في الثكنة العسكرية، التي كانت مسرح أغلب الأحداث في الفيلم، باعتبارها الإطار المكاني، الذي شهد أهم الأحداث التي عاشتها الشخصية البطلة، في مسارها نحو تحقيق أهدافها في الثأر والانتقام.

إلا أن الإطار المكاني للأحداث، لم يقتصر على الثكنة كحيز مكاني فقط، بل تعدد وتغير حسب تغير الأحداث وتطورها، كون أن طبيعة الحدث الدرامي، هي ما تفرض الإطار المكاني، الذي يقع فيه لذلك نجد المكان في المشهد التمهيدي للأحداث، يعبر عن فترة الاستقلال، من خلال تصوير حدث إضافة اسم عمار البكوش إلى قائمة الشهداء، وبهذا عبر الإطار المكاني عن مرحلة الاستقلال، ليتحول بعدها الإطار المكاني إلى الريف، من خلال تصوير حياة الشخصية البطل عمار في قريته، والإبادة الجماعية، والأحداث المؤلمة التي عاشها البطل وأهله، جراء قمع جنود الاحتلال ، ويتحول الإطار المكاني مع تتابع الأحداث، وتطور شخصية البطل في القصة، نحو الهدف، إلى أن تصل إلى الثكنة التي شهدت العديد من المحطات الرئيسية

في قصة البطل، كما تناولت مشاهد الفيلم، العديد من الأماكن التي شهدت أحداثا مختلفة في الفيلم، مثل مشهد العملية الفدائية داخل السوق، وكذا مشهد عمار وزوجة الضابط في الصيد ....وغيرها من المشاهد، التي فرضت تغير الإطار المكاني، إلا أن تطور الحدث الرئيسي في القصة، فرض الثكنة العسكرية، كإطار مكاني، غلب على مجمل الأحداث في الفيلم ، وجاء المكان الداخلي والخارجي كذلك، حسب الحدث المعالج، مثل الزنزانة، التي كانت مركز التعذيب وقاعة الحفل، التي شهدت الاحتفال بعيد النصر الفرنسي، والشوارع التي شهدت عملية قتل الفرنسيين للشيخ العجوز، انتقاما من العملية الفدائية لجبهة التحرير، وإسطبل الخيول، الذي صورت فيه العلاقة العاطفية بين عمار وزوجة الضابط ..الخ[20]، وغيرها من الأماكن الداخلية والخارجية،التي وقعت فيها الأحداث، والتي جاءت مناسبة لها في مختلف المشاهد.

7-الإطار الزماني في سيناريو الفيلم:

يتناول سيناريو فيلم أبواب الصمت، فترة الثورة التحريرية، وهو ما تشير اليه مختلف الأحداث في قصة البطل، وبطريقة تسمي بداية النهاية، بعد المشهد التمهيدي، الذي جرى بعد 25 سنة من الاستقلال، يعيدنا كاتب السيناريو ومخرج الفيلم، من خلال ذكريات صالح الكوميا، إلى فترة الثورة التحريرية المجيدة، من خلال قصة عمار البكوش، وتشير مختلف المشاهد في الفيلم، الى فترة الثورة كإطار زماني للأحداث، خاصة في مشهد محاولة عمار، للالتحاق بصفوف جيش التحرير، وعملية القضاء على سكان القرية، والعملية الفدائية لجبهة التحرير، داخل السوق [1]...وفي مختلف مراحل القصة، نجد أن الزمان العام للأحداث، يتمثل في فترة الثورة التحريرية، التي شهدت مثل هذه الأحداث، أما الزمن الداخلي فيتحدد حسب طبيعة الحدث المعالج، سواء كان في النهار أو اليل، وهو ما يتجلى في مختلف المشاهد التي تميزت بالاختيار المناسب للزمن الداخلي، في معالجة كل حدث من أحداث الفيلم.

8- خاتمة:

تميزت السينما الجزائرية باهتمام مخرجيها بالموضوعات الثورية وصياغتها في أفلام روائية ووثائقية هدفها توثيق المرحلة الرئيسية من تاريخ الوطن وتضحيات شعبه.

تعددت أشكال وأنماط الموضوعات الثورية والاجتماعية في السينما الجزائرية وذلك لمحاكاة واقع المجتمع الجزائري إبان الحرب وبعدها فكانت هناك موضوعات عالجت الحرب وموضوعات عالجت الواقع الاجتماعي إبان الحرب وبعدها.

تتجلى الموضوعات الثورية في الأفلام الجزائرية من خلال الشخصيات وصراعاتها البناء الدرامي للحدث الثوري ...الخ وهو ما يتجلى في دراستنا لفيلم أبواب الصمت.

يعد فيلم أبواب الصمت من بين الأفلام الثورية التي نالت نجاحا منقطع النظير بفضل موضوعه الثوري المتميز الذي يعد توثيقا لتضحيات فئة مهمة من أفراد المجتمع الذين بالرغم من العوائق التي حالت بينهم وبين الالتحاق بجيش التحرير إلا انه مادو دورهم البطولي في سبيل الوطن بطريقتهم الخاصة إلى درجة الاستشهاد وهو ما لمسناه في تحليلنا لفيلم عمار البكوش.

تميز فيلم أبواب الصمت لعمار العسكري، ببنية درامية محكمة، من خلال تماسك الأحداث وتطورها، رفقة الشخصية البطلة، التي تنمو وتتطور هي الأخرى أثر الأزمات والصدامات وصراعها مع باقي الشخصيات، ومسارها طول مراحل القصة نحو تحقيق الهدف، وهو ما استنتجناه من خلال مشاهدة الفيلم، وتحليل مختلف مقاطعه، حيث اعتمدنا على الفيلم كوثيقة للدراسة، بحكم أن كتابة السيناريو، تكون للصورة، ولا تظهر بنيته وخصائصه الفنية إلا باكتماله بالصورة والصوت.

الإحالات والمراجع:

[1] – جدي قدور، الثورة التحريرية في السينما الجزائرية اطروحة دكتوراه جامعة وهران 2009 ص150/149.

[2] – عبد الحميد حيفري، التلفزيون الجزائري واقع وآفاق المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، د.ط ،1985. ص104.

[3] ينظر بغداد احمد بلية، فضاءات السينما الجزائرية نظرة بانورامية على تاريخ السينما في الجزائر م س ص81/80.

[4] – فيلم الجحيم في سن العاشرة هو فيلم جماعي لمجموعة من المخرجين يتألف من خمسة اجزاء او سكاتشات هي : السمنة لعبد الرحمن بوقرموح و اللقاء لسيد علي مزايف و البحر لغوتي بن ددوش وشهداء الامس لعمار العسكري وعندما جانات ليوسف عقيقة حيث كان هذا الفيلم انتاجا مشتركا بين هؤلاء المخرجين الذين صاغوا مجموعة من السكاتشات جمعت في شكل فيلم يعالج موضع الثورة من خلال شريحة الاطفال التي رمت بها الاقدار في دوامة حرب التحرير الاليمة وانعكاسات ذلك على براءتهم وعفويتهم ....الخ للمزيد ينظر عدة شنتوف السينما الجزائرية وحرب التحرير ص43.

[5] – ينظر عبد الحميد حيفيري التلفزيون الجزائري واقع وآفاق م س ص107.

[6] – عبد الحميد حيفري التلفزيون الجزائري واقع وآفاق م س ص109.

[7] – عدة شنتوف السينما الجزائرية وحرب التحرير منشورات دار الثقافة لولاية تسمسيلت، ابجديات للنشر والتوزيع/الجزائر د .ط/ 2013. ص 52.

[8] – فيلم ابواب الصمت، اخراج عمار العسكري، سيناريو مراد بوربون، انتاج المركز الوطني للفن والصناعة السينمائية 1987 المدة الزمنية ساعة و 43 دقيقة بالالوان.

[9] –خالد دقي السيناريو السينمائي من الفكرة الى الشاشة مطابع الانوار المغاريبية وجدة، /المغرب، د.ط ،2008. ص 28.

[10] – خالد دقي السيناريو السينمائي من الفكرة الى الشاشة م س ص 27

[11] فيلم ابواب الصمت سيناريو مراد بوربون – اخراج عمار العسكري.

[12] ينظر لنداج كاوغيل فن رسم الحبكة السينمائية ترجمة: محمد منير الاصبحي، منشورات وزارة الثقافة المؤسسة العامة للسينما، / ط1، 2013 سوريا، ص93.

[13] الحسين الحايل ، في كتابة السيناريو السينمائي ، كوثر برنت الرباط ، د.ط، 2013ص58.

[14] *-كاوغيل لينداج، فن رسم الحبكة السينمائية، ترجمة محمد منير الاصبحي م س ص 93.

[15] .فيلم ابواب الصمت سيناريو مراد بوربون اخراج عمار العسكري– الدقيقة 47 من الفيلم – مرجع سابق

[16] – فيلم ابواب الصمت، اخراج عمار العسكري ، سيناريو مراد بوربون، مرجع سابق.

[17] فيلم ابواب الصمت/ اخراج عمار العسكري ..مرجع سابق.

[18] ينظر لنداج كاوغيل؛ فن رسم الحبكة السينمائية م س ص 42.

[19] أبواب الصمت – المقطع الثالث من الفيلم 08 دقائق – مرجع سابق.

[20] – فيلم أبواب الصمت، مرجع سابق.